

المحاضرة الأولى:

التأسيس النظري للمصطلحات



منهجية البحث العلمي

كلية الحقوق

منهجية

والعلوم السياسية

البحث

العلمي



المنهجية

أ- لغة:

مشتقة من "نَهَج"، والنهج هو الطريق الواضح البين. يقال "نهج فلان الطريق" أي سلكه واستبان له.

المصطلح باللغة الأجنبية:

• بالفرنسية: **Méthodologie**

• بالإنجليزية: **Methodology**

• الجذر اللغوي (الأصل اليوناني/الإغريقي):

الكلمة ليست بسيطة، بل هي كلمة مركبة من ثلاثة مقاطع يونانية قديمة:

- **ميّتا (Meta)** وتعني "ما وراء" أو تفيد معنى "التتبع" و"البحث".
- **هودوس (Hodos)** وتعني "الطريق" أو "السبيل" أو "المسلك".
- عند دمج المقطعين الأولين نحصل على كلمة **Method** وتعني: الطريق المؤدي إلى الهدف.
- **لوغوس (Logos)** وتعني "العلم" أو "الدراسة" أو "المنطق".

بجمع المقاطع الثلاثة، تصبح المنهجية (**Methodology**) تعني حرفياً:

"علم الطريق" أو "العلم الذي يدرس الطرق والمسالك التي يجب اتباعها للوصول إلى الحقيقة".

ب - اصطلاحاً:

العلم الذي يدرس الطرق والأساليب التي يستخدمها الباحث للوصول إلى الحقيقة؛ هي "خارطة الطريق" العقلية.

في القرآن الكريم:
أشار الله تعالى إلى هذا المعنى بوضوح في سورة المائدة (آية 48)؛

﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾



البحث

لغة:

من "بَحَثَ"، وتعني التفتيش، التنقيب، والتتبع، والطلب. كمن ينبش في التراب بحثاً عن شيء ثمين.

اصطلاحاً:

هو عملية فكرية منظمة تهدف إلى استقصاء الحقائق بشأن مسألة معينة (مشكلة البحث) باتباع خطوات محددة.

في القرآن الكريم:

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحِثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوَاءَ أَخِيهِ﴾

• ورد لفظ البحث بمعنى التنقيب الحسي المفضي للمعرفة في قصة قابيل وهابيل، سورة المائدة (آية 31):

العلم:

• لغته:

نقيض الجهل. وهو إدراك الشيء على حقيقته إدراكاً جازماً.

• اصطلاحاً:

• هو مجموعة الحقائق والمبادئ والقوانين المنظمة التي تم التوصل إليها عن طريق البحث والتجريب (أو الاستدلال في العلوم القانونية).

• في القرآن الكريم:

• ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَرَحْمَاتٍ﴾

• رفع الله شأن العلم في مواضع كثيرة، منها سورة المجادلة (آية 11):

تعريف البحث العلمي

بناءً على ما سبق، يمكننا صياغة تعريف شامل للبحث العلمي، خاصة في المجال القانوني:

"هو جهد فكري منظم ودقيق، يقوم به الباحث باتباع منهج علمي محدد (استقرائي، تحليلي، مقارنة...)، بهدف اكتشاف حقائق جديدة، أو حل مشكلات قائمة، أو تصحيح مفاهيم خاطئة، بما يساهم في إثراء المعرفة الإنسانية".



تطور التفكير الإنساني: من "غريزة البقاء" إلى "صرامة المنهج"

لماذا نحتاج إلى منهجية البحث العلمي ؟

المرحلة الأولى: العقلية البدائية (سؤال "كيف؟" وغريزة البقاء)

في فجر التاريخ، لم يكن لدى الإنسان رفاهية التفكير المجرد. كان همه الوحيد هو البقاء.

• **طبيعة السؤال:**

• كان السؤال المركزي هو "كيف ؟

• كيف أحمي نفسي من البرد؟

• كيف أصطاد هذا الحيوان (لأتحول من طريدة إلى طارد)؟

• كيف أشعل النار؟

• **السمة المنهجية:**

• كانت المنهجية هنا فطرية تعتمد على المحاولة والخطأ المعرفة كانت "عملية ونفعية" بحتة.

• علاقتها بالقانون:

• في هذه المرحلة ظهرت بذور القانون الأولى في شكل "الطابو" (محرمات) و"أعراف قبلية" تهدف فقط لحفظ تماسك الجماعة للبقاء، دون فلسفة للعدالة.

المرحلة الثانية: العقلية الفلسفية والميتافيزيقية (سؤال "لماذا؟" والبحث عن العلل (الأسباب)

عندما استقر الإنسان وعرف الزراعة، توفر له وقت فراغ، فبدأ العقل يتحرر من ضغط الحاجة البيولوجية إلى رحابة التفكير الكوني.
• طبيعة السؤال:

• تحول السؤال من "كيف أعيش؟" إلى "لماذا أعيش؟"
• لماذا ينزل المطر؟ (هل هي إرادة الآلهة؟).

• لماذا يوجد الشر؟
• لماذا يجب أن نطيع الحاكم؟

ظهر التفكير التأملي الاستنباطي. هنا برز فلاسفة اليونان (سقراط، أفلاطون، أرسطو). لم يعودوا يكتفون بمشاهدة الظواهر، بل أرادوا معرفة "العلّة الأولى" وراءها.
• علاقتها بالقانون:

• هذه أزهى عصور فلسفة القانون، حيث ظهرت مفاهيم "القانون الطبيعي" والعدالة كقيم عليا ومثالية، بعيداً عن مجرد التطبيق العملي.

المرحلة الثالثة: العقلية العلمية الوضعية (سؤال "ما هي العلاقات؟" والمنهجية الدقيقة)

مع العصر الحديث (بداية من القرن 17)، أدرك الإنسان أن التأمل الفلسفي وحده لا يكفي لبناء الحضارة، وأن الحواس قد تخدع (السراب مثلاً)، فظهرت الحاجة لضبط العقل.

• طبيعة السؤال:

عاد الإنسان ليسأل "كيف" ولكن بمعنى جديد: "كيف تعمل الأشياء بالضبط؟ وما هي القوانين التي تحكمها؟".

• لم يعد يكفي القول أن "النار تحرق لأن فيها روحاً"، بل يجب فهم التفاعل الكيميائي للاحتراق. السمة المنهجية:

• هنا ولدت المنهجية العلمية بمعناها الحقيقي. لم يعد العلم رأياً شخصياً، بل أصبح:

• ملاحظة دقيقة.

• فرضية (تخمين ذكي).

• تجربة واختبار.

• قانون علمي عام.

• علاقتها بالقانون: تحول القانون إلى علم وضعي له قواعد تفسير، ومناهج استنباط، ومدارس فقهية،

وأصبحنا ندرس "علم الإجرام" و"علم الاجتماع القانوني" بناءً على إحصائيات ودراسات ميدانية، لا مجرد نظريات فلسفية.